الكبرى والقسم الاعظم من المجتمع الانساني في كل قطر واذا قُدّر اقناعهم فلا يتيسّر ذلك الا على طول الايام والتفنن في اساليب الارشاد والهداية لتفتح لهم وجوه الغواية حتى ليحتاج الناصح الى مجاراتهم في اول الامر على ضلالهم ثم ايهامهم انهُ قد اهتدى الى فساد ذلك الرأي بانوارهم وعرف خطأهُ من صوابهم حتى يتمسّك الجهال بالرأي القويم زاعمين انهُ رأيهم . ولكن قد تمرّ الايام بل الاعوام ولا يفوز الهادي بهذا المرام واذا رُزق هذه السعادة بعد طول معاناة النَصَب وكثرة المشاق فلا يبلغها حتى يكون صاحبنا المزعوم موفّقاً قد بلغ من الغنى ما تمنى او من الشهرة ما اراد

ستأتي البقية

التنويم

يُستعمَل التنويم الآن علاجاً لكثيرٍ من الامراض ولا سيما العصبية منها وقد لغط الناس كثيرًا في امرهِ فاثبت بعضهم لهُ من الخوارق ما لا يقبلهُ العقل السليم من مثل معرفة الغيب وكشف الاسرار وبيان المخبإ وانكر آخرون فعلهُ وذهب قومٌ الى ان ما يحدث عنهُ ليس الاّ شعوذةً يُقصَد بها التضليل والتمويه . وقد تصدّى للبحث في حقيقتهِ فريقٌ من العلماء المحققين والاطباء البارعين فاطالوا النظر في تحقيق مسائلهِ واكثروا من مزاولة التجارب فيهِ على طرق مختلفة تحروا بها اثبات الصحيح ونفي الفاسد من مزاعم منتحلي هذه الصناعة حتى تبيَّن وجه الصواب فسلّم اكثرهم بصحة ما يحدثهُ من الاثر النافع في صناعة الشفاء وهم الآن يعتمدون عليهِ في علاج الامراض العصبية مما لم تنجع فيهِ حيل الاطباء

ولم يقتصر البحث عن التنويم على بيان منافعهِ الشفائية ولكنهُ كان

الوسيلة لكشف الغطآء عن كثير من الخوارق التي قُصِد بها خلب العقول زماناً طويلاً لتقرير سلطة بعض النفوس على بعض فان طريق البحث عن هذه الصناعة من حيث اتهامها بالشعوذة افضت الى افتضاح الطرق التي جرى عليها المشعوذون منذ الازمنة القديمة حتى الآن . ومعلوم ان الانسان اذا شهد امورًا تفوق طور ادراكهِ ولم يهتدِ الى معرفة اسبابها هام عقلهُ في اودية الخيال وتاه في وعثآء الضلالة بحسب ذلك من الخوارق ومن الاسرار الغامضة ومن السحر ومن الكهانة ومن العرافة الى غير ذلك مما جسمتهُ الاوهام وابدعت صورهُ على اشكال مختلفة وهيئات متباينة . على ان طرق البحث عن العلل الفاعلة في ظواهر التنويم وآثارهِ قد تخطت حدود العلم الطبيعي الى معرفة اسرار علم النفس وبينت العلاقة بين هذا العلم وعلم منافع الاعضآء من حيث القوى العقلية وتأثيرها في الجهاز العصبي فعُلم ان كثيرًا من الامراض العضالة التي لم تنجع فيها حيل البرء لا يعسر شفآؤها بالايهام على ما اثبتت التجارب الكثيرة وان كثيرًا من مزاعم الكهانة والعرافة يُعلل عنها تعليلاً علميًا من مثل نمآء قوةٍ من قوى الحس وتأثير النفوس الفاضلة في ما دونها وان شئت قل ان غلبة الجهل تروّج مثل هذه البضاعة وانت ترى ان اقلَّ الناس علماً اكثرهم تصديقاً لما يتلى عليهم من القصص الغريبة والحكايات المختلفة واقربهم الى الغواية بما يشاهدونهُ من المناظر المدهشة مما لم يألفوه او مما قصد بهِ خلب عقولهم واذا نظرت الى البشر في اول عهد الحضارة والعمران لم تكد تجد فرقاً من هذا القبيل بينهم وبين الامم السافلة في سلم المدنية لهذا العهد فالزنج في اواسط افريقيا تتسلط عليهم الاوهام وتتغلب فيهم الوساوس الى حدّ يبعد التصديق بان العقل البشري يحطّ اليهِ وترى الاولاد اكثر قبولاً للتصديق بالخرافات والتسليم بالخزعبلات بل ترى

كثيرين من اذكياء النفوس يخلبهم بعض المشعوذين لانهم لا يهتدون الى معرفة سر شعوذتهم فلا غرابة اذا فضح العلم الآن سرّ الشعوذة واماط عن الحقيقة حجب الاوهام

ولا يخفى ان صناعة التنويم على ما وصلت اليهِ في الزمن الاخير بنيت على اساس البحث عن القوة المغنطيسية الحيوانية من حيث ان بعض الناس يؤثر في غيرهِ تأثيرًا خصوصيًّا اما بواسطة اللمس مباشرةً او بواسطة النظر سواء كان هذا التأثير بآلة ومعين او بدونهما وذلك ما عرفهُ كهان الشرق قديمًا وجروا عليهِ في مزاولة السحر . قال ابن خلدون « والنفوس الساحرة على مراتب ثلاث اولها الموثرة بالهمة فقط من غير آلة ولا معين وهذا هو الذي يسمّيه الفلاسفة بالسحر والثاني بمعين من مزاج الافلاك او العناصر اوخواص الاعداد ويسمونهُ الطلسمات وهو اضعف من رتبة الاول والثالث تأثير في القوى التخيلية فيتصرف فيها بنوع من التصرف ويلقي فيها انواعاً من الخيالات والمحاكاة وصورٍ مما يقصدهُ من ذلك ثم ينزلها الى الحس من الرآئين بقوة نفسهِ الموثرة فيهِ فينظر الرآؤن كأنها في الخارج وليس هنالك شيء من ذلك وسُمي هذا عند الفلاسفة الشعوذة او الشعبذة » وكان كهنة المصريين يزاولون التحديق في الحجارة الكريمة او في آنيةٍ بلورية مدةً طويلة توسلاً الى هبوط الوحي ومعرفة الغيب وكان المجوس يحدقون بنظرهم كثيرًا في شيء اتخذوهُ غرضهم كما يفعل الآن الدراويش من الهنود حتى يقع عليهم السبات وجرى على مثل ذلك رهبان جبل اتوس في القرن الحادي عشر الاّ انهم كانوا يحدقون بنظرهم كلٌّ الى سرتهِ حتى يسطع عليهم نورٌ سماوي على ما زعموا . ولم يزل الاعتقاد بسلطة القوى النفسانية وتأثير بعض الناس في غيرهم شائعاً في كل زمان

ومكان بدليل ان هذا التأثير قد زاول احداثهُ الكهنة والاطبآء منذ الايام العريقة في القدم حتى الآن بطريقة اللمس مباشرة او بدونها. ولم تزل آثار ذلك في البراري بصعيد مصر شواهد دالة عليهِ منها البردي المنسوبة الى إبرس وهي تمثل كاهناً مصريًا يدهُ على رأس مريض قصد شفآئهِ سنة ١٥٢٥ ق م وعلى هذا النحو كان الملوك والامرآء يستشفون من عللهم الاّ ان اللمس لم يكن لازمًا في جميع الاحوال بدليل ما كانوا يزاولونهُ من طرق السحر المقصود بها مثل هذا التأثير عن بعد. اما القول بان في الانسان قوةً يؤثر بها في غيرهِ تأثيرًا مغنطيسيًا ولاسيما من حيث المرض فقد نشأ في اواخر القرون المتوسطة وهو يُنسب الى فان هلمونت وعليهِ جرى مكسول السكتلندي سنة ١٦٠٠ الذي ذهب الى ان في العالم روحًا حيويًا تتصل بهِ الاجسام بعضها ببعض وقد توسع في ذلك سنتانلي الطلياني في بدآءة القرن الثامن عشر وزعم ان لكل مادة جوًا تتشعع فيهِ المغنطيسية وان للوهم تأثيرًا عظيماً في الانسان

هذا هو الاساس الذي بنى عليهِ مسمر ارآءهُ في ما يختص بالمغنطيسية الحيوانية فنُسب اليهِ هذا المذهب وكان طبيباً وُلد في فينا سنة ١٧٢٤ وتوفي سنة ١٨١٥ وكان يطبب اولاً بالمغنطيس المعدني ثم عدل عنهُ الى استعمال المغنطيسية الحيوانية التي أتى على بيانها في نشرةٍ انفذها الى مجامع العلمآء في الامصار الاوربية سنة ١٧٧٥ فلم يحتفل بها احد ولكنها هاجت عليهِ سخط مواطنيهِ لما اتهم بهِ من السحر فاضطر الى الهرب الى باريز سنة ١٧٧٨ ووجد لهُ ثمَّ انصارًا وخصوماً طالت بينهم الجدال على تعليمهِ حتى انكرتهُ اللجنة العلمية التي عُيّنت لفحصهِ سنة ١٧٨٤ الاّ انها نسبت فعل القوة المغنطيسية الى تأثير الوهم ومع ذلك كثر مشايعوهُ وسُمّي التعليم بالمغنطيسية الحيوانية « المذهب

المسمري » . وقد كشف حينئذٍ احد اتباعهِ حالةً يكون فيها الشخص الواقع عليهِ اثر المغنطيسية نائمًا تحت سلطة منوّمهِ فسماها بالنوم الصناعي ثم كشف طبيب آخر من ليون طريقة انتقال الحس كالسماع بالمعدة وتوالت بعد ذلك الاكتشافات لكثرة ما احتمل هذا المبحث من الاعتراض والمقاومة والجدل حتى تمحصت حقائقهُ ولا سيما بعد ان اثبت احد علمآء الدين المسمى فاريا سنة ١٨١٥ ان ظواهر التنويم لا تصدر عن علة غير مدركة ولكنها مسببةٌ عن الايهام وتابعهُ في ذلك براد وهو طبيب انكليزي استعمل التنويم علاجًا للامراض العصبية وللتخدير في العمليات الجراحية وانتشرت طريقتهُ في بوردو من فرنسا سنة ١٨٥٩ حتى بلغت الاستاذ بروقا في باريز وجرى عليها ليوبلت في مدينة نتسي حيث المدرسة الشهيرة التي يجري فيها التنويم على طريقة خاصة تختلف في وجوهٍ كثيرة عن طريقة الاستاذ شركو التي تحراها منذ سنة ١٨٧٨ على ما يأتي بيانهُ في محلهِ من هذه المجلة

والحاصل ان صناعة التنويم صارت الآن علمًا ضبطت اصولهُ وتفرعت عنهُ مسائل كثيرة يبحث فيها بالنظر الى علم النفس ومنافع الاعضآء والطب وذلك بعد ان كانت انوسيلة للتدجيل والتضليل وكان الكهان يستعملونها لاغراض دينية فصار الاطبآء يستعملونها في جميع الامصار الاوربية والاميركانية ولا سيما في بعض المستشفيات الكبيرة لشفآء الامراض العصبية وغيرها من العلل المزمنة وفي سنة ١٨٨٩ انعقد في باريز مؤتمر علمي للنظر في اهم مسائلها حضرهُ جمهور غفير من كبار العلمآء وفي ذلك دليل واضح على ما لهذا الفن من الاعتبار والاهمية في هذا العصر مما حدانا الى الافاضة فيهِ على قدر ما يحتملهُ المقام وتمسّ اليهِ الحاجة وفوق كل ذي علم عليم